فلسفة الإدارة في فكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

م .د حسين رحيم عزيز الهماشي
جامعة واسط– كلية التربية الأساسية

الملخص: –

يمتاز الفكر الإداري عند الإمام علي (عليه السلام) بمتانته وتماسكه واستناده إلى قواعد منطقية رصينة، فجاء هذا الفكر متميزاً بخصائص قد لا يظهر بها أي مفكر إداري غربي، فهو فكر إنساني لأنه ينظر إلى الإدارة بنظرة إنسانية فالذي يتحرك في أفق الإدارة هو الإنسان وليس الآلة.

أن نظرة الإمام (عليه السلام) إلى المؤسسة الإدارية: بأنها مجتمع مصغر تضامن فيه جميع المقومات الاجتماعية، كما أن نظرته إلى الإدارة بأنها: جهاز منظم وليس خليطاً من الفوضى وأن لهذا الجهاز هدفاً سامياً فالتنظيم لم يوجد عبثاً، بل من أجل تحقيق أهداف كبيرة في الحياة، فالإدارة هي انجاز أهداف تنظيمية من خلال الأفراد وموارد أخرى أيضا هي إنجاز الأهداف عن طريق القيام بالوظائف الإدارية الأربعة (التخطيط، التنظيم، التوجيه، التقويم). ولأهمية فكر الإمام علي (عليه السلام) في المجال الإداري والتنظيمي، فقد ارتأى الباحث التعرف عليه في دراسته المتواضعة الحالية، وقد تضمنت الدراسة المحاور الآتية:

المحور الأول: الإطار العام للدراسة

المحور الثاني: الولادة والنشأة.

المحور الثلث: صفات الإدارة في فكر الإمام علي (عليه السلام)

المحور الرابع: توجهات الإمام علي (عليه السلام) في الإصلاح الإداري.

المحور الخلس: الاستنتاجات.

Abstract

The administrative thought of AL- Imam Ali (Peace be upon him) characterizes with its strength and cohesion and according to the logical rules which are strong. So, this opinion has come distinguished with characteristics far away from any foreigner administrator thinker. Then, it is a human view because it looks at the administration in a human sight .The man kind is not the tool who moves towards the administration

AL-Imam Ali (peace be upon him)view to the administrative establishment is a smaller society which includes all the social component .His point of view to the management that it is an orderly device not a mixture of disorder that has a Semitic aim .This order exist in vain , but for the sake of achievement great aims in doesn't life

The administration is achievement organizational aims through is doing goals through sources .Besides, it individuals and other fourth administration functions which include (planning, organization,) orientation, directing and observation

For importance the thought of AL-imam Ali (peace be ubon him) in the administrative and organizational domain, the researcher has felt knew in modest current his study, wich include the following.

Axes: - the first axes – the general frame work for the study.

The second axes – qualities administration at the thought of AL-imam Ali (peace be ubon him).

The third axes – orientations of AL-imam Ali (peace be ubon him) in administrative reformation.

The fourth axes – Conclusions.

الإطار العام للدراسة: –

أهمية الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تبيان فكر وأثر هذه الشخصية العظيمة المتمثلة بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) ، هذه الشخصية التي بهرت أصحابه والناس في زمانه ولا زلت تبهر الناس سواء من مسلمين أكانوا أم غير المسلمين ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) فيه: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي) وقال فيه (صلى الله عليه وأله وسلم) أيضاً في يوم غدير خم (اللهم والي من والاه وعادي من عاداه) ، وتوضيح ما كانت عليه إدارة الإمام علي (عليه السلام) في حكم وإدارة الدولة الإسلامية في عهده ، ومدى ما تميزت به حكومته من العدل والإنصاف وعدم الظلم ومساعدة المحتاج.

هدف البحث:

تحديد نهج الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) والتعرف على فكره في الجانب الإداري.

تحديد المصطلحات:

أولا: الفلسفة:

وعرفت على انها الحكمة في الرؤية والتفكير العميق والتزود بوجهات النظر القائمة على الأصالة والتأمل فيما يتعلق بمشاكل الحياة بصفة عامة للحصول على المعرفة). (الخطيب، ص١٨).

ثانيا: الإدارة:

وعرفت على انها عملية منظمة هادفة في استخدام أفضل الطرق والأساليب لاستثمار الموارد المادية والبشرية وتوظيفها لبلوغ الأهداف المرسومة بأقل ما يمكن من مال ووقت وجهد عن طريق التخطيط والتنظيم والتوجيه والتقويم). (مطاوع وآخرون، ص٨٥)

/الإطار العام للدراسة: –

ثالثا: فلسفة الإدارة:

وعرفت على انها الرؤية الفكرية النظرة الشاملة الكاملة التي تستند إليها الأهداف العامة التي توجه النظام الإداري كما عرفت على انها الجانب التطبيقي للمبادئ والافكار الادارية في ارض الواقع في مختلف المؤسسات ومنها التربوية). (مطاوع، وحسن، ص٨٥).

رابعا: الفكر:

وهو مجموعة أنشطة ذهنية عقلية مختلفة لها صفات معينة ولها أهداف وعناصر محددة تعتمد على الثوابت الوظيفية والنشاطات في البيئة الكافيتان لإيجاد الحلول، وهو المعنى الأقرب عند المسلمين لقوله تعالى:- (انه فكر وقدر) (المدثر١٨) (الهماشي والطائي ، ص٢٠).

أولا: الولادة والنشأة:

وليد الكعبة:

من العجائب التي أضفت صوتاً ضارباً في التاريخ وأحداثه الفريدة التي تفتح الأعين على ما تخفيه من الأسرار، أن يصطفي الله لعبد اصطفاه، حتى موضع مولده،

مولده، ليجمع له، مع الأطهار مولده، شرف المحل، ويضه بمكرمة ميزه بها منذ ساعة ساعة مولده على سائر البشر ٠

هكذا كان مولد علي بن أبي طالب (عليه السلام) في البيت العتيق في الكعبة الشريفة، وكان كذلك في يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، قبل البعثة بعشر سنين، حوالي ٦٠٠ م (٢٣ قبل الهجرة)٠

ولعل في مثل هذا اليوم التي ولد فيه الإمام علي (عليه السلام)، قد ولد الألوف من البشر، لكن ولادته مثلت حدثاً عجيباً تجلت به الأسرار، وتلبست بالحكمة الربانية، كانت مثاراً للدهشة الأبدية، فقد وضعت فاطمة وليدها في البيت العتيق في مكان عبادة لا مكان ولادة ٠ (كشف الغمة ، الأربلي ، ج١ ،٥)

شخصية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الفكرية

كان الإمام علي (عليه السلام) النموذج الحضاري المتميز من بين سائر أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلامذة مدرسته الفكرية، ويرجع هذا إلى ما توافر له (عليه السلام) من عوامل شاركت متكاملة في شخصيته الفكرية، وهي:

أولاً / العامل الذاتي:

أريد به أنه (عليه السلام) ولد مزوداً بمؤهلات ذهنية ارتفعت به إلى مستوى العبقرية التي هي فوق الذكاء المتفوق، ويعود هذا إلى أن الله تعالى أراد بذلك أعداده لدعم الرسالة والدفاع عنها وتحمل مسؤوليتها بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)٠

ثانياً: العامل التربوي في نشأة الأمام علي (عليه السلام)

العامل التربوي:

أعني به ما تهيأ للإمام (عليه السلام) من جو تربوي في ظل توجيهات وتعليمات رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)٠ (عبد الهادي الفضلي، ٤).

والإمام علي (عليه السلام) يسجل هذا بقوله :(ولقد كنت أتبعه (يعني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم) إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة.

يقول ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة في مقدمة شرحه:

(وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقه، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وسابق مضمارها، ومجلي جلتها، كل من بزغ بعده، منه أخذ، وإياه أقتفى، وعلى مثاله احتذى)٠ (الفضلي، ص ١٤).

وفي بيان فضائل الإمام علي (عليه السلام): –

لا يخفى على أهل العلم والبصيرة، أن فضائل الإمام علي (عليه السلام) قصر البيان البيان واللسان أن يقيمها، ويضيق أي بحث أو كتاب عن احتوائها والإحاطة بها، بل أن بل أن الملائكة يعجزها بلوغ درجاته، وفي الحقيقة فما أحصي من فضائله (عليه السلام) السلام) لا يبلغ غرفةً من بحر.

أن الفضائل تكون أما نفسيه وأما بدنيه، والإمام علي (صلوات الله عليه) أكمل وأفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

أن هذين النوعين من الفضائل وجوه أو صور عديدة منها:

١. أن جهاده (عليه السلام) في سبيل الله وبلاءه في غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاقا ما قام به الناس كافة في تلك الغزوات، ولم يبلغ أحد مبلغه في الجهاد والفداء ٠

٢. أن الإمام علي (عليه السلام) كان اعلم الناس وأكثرهم معرفه في جوانب عديدة هي:

الجانب الأول: انه بلغ (عليه السلام) من ألفاضه وقوة الحدس وشدة الذكاء الغاية، وكان يلازم رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) ملازمة متواصلة، واستناد من تلك الملازمة واقتبس من نور مشكاة النبوة، وان الرسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) علمه ألف باب من العلم، كل باب منها يفتح على ألف باب، وقال رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) فيه:(أنا مدينة العلم وعلي بابها).

الجانب الثاني: اتفق مرات كثيرة أن لصحابة كانت تشتبه عليهم الأحكام الشرعية، فيفتي بعضهم خطأ، فيرجعون إليه فيصوبها الهم، ولم ينقل قط بأنه رجع إليهم مرة واحدة، وهذا يشهد علميته ٠

الجانب الثالث: مفاد الحديث النبوي: (أقضاكم علي) يستلزم الأعلمية، تلك أن القضاء يستلزم الأعلمية٠

الجانب الرابع: حقيقة استناد الفضلاء والعلماء من أهل كل فن عليه، وينقل عن أبي الحديد، قوله:

قد عرف أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، وأرباب هذا الفن هم من تلاميذه، فإما من الشيعة الأمامية، فرجوعهم إليه ظاهر، ومن العلوم علم تفسير القران، وعنه أخذ ومنه فرع، وابن عباس واحد من كبار المفسرين ومشايخهم، وهو تلميذ الإمام علي، ومن العلوم أيضا علم النحو والعربية وقد علم الناس كافة انه هو الذي ابتدعه وانشاه. (منتهى الآمال، عباس القمي).

الجانب الخامس: أنه ما أكثر ما أخبر عن وفير علمه بنفسه في مواقف متعددة .

كما في قوله (سلوني قبل أن تفقدوني، فأني بطرق السماوات أخبر منكم بطرق الأرض).

٣. كثرة جوده وسخائه (عليه السلام) وهذا الأمر أشهر من أن ينوه به، فقد كان (عليه السلام) يصوم أياماً ويقضي ليالي طاوياً ليعطي قوته لغيره، وسورة (هل أتى) نزلت في صدد إيثاره (عليه السلام) كما أن الآية الشريفة :(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار، سراً وعلانية)، إنما نزلت، كان يعمل أجيراً ثم يتصدق بأجرته، وكان يشد حجراً على بطنه من الجوع.

٤. كثرة زهد الإمام علي (عليه السلام)، وشك انه كان أزهد الناس، بعد رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم)، والزهاد كافتهم يستمدون الإخلاص منه، فهو سيد الزهاد، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً. (منتهى الآمال، ٢١٧).

٥. أنه كان (عليه السلام) أعبد الناس، وسيد العابدين، وصباح المتهجدين فصلاته من جميعهم أكثر، وصيامه أوفر، أخذ عنه العباد صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وغير تلك من الفضائل الكثيرة التي لا يمكن إحصائها متمثله بشخص الإمام (عليه السلام)

أولا :صفات الإدارة في فكر الإمام علي (عليه السلام)

١ . الصفة الإنسانية:

يمتاز فكر الإمام علي (عليه السلام) بالتنسق والتعاضد لأن رؤيته للحياة رؤية شاملة لكل أبعادها وأركانها وأجزائها، فالاقتصاد متداخل مع السياسة وهما يعتمدان على الإدارة، كما أن الإدارة في المنظور الإسلامي ليست أدوات صماء، بل هي تقوم على أكتاف البشر، والبشر فيهم عوامل قوة وعوامل الخير وتحريك لطاقات الكامنة في البشر تتقدم الأدارة٠

فالمدير الجيد هو الذي يعرف طبيعة الناس الذين يتعامل معهم ويعرف ما الذي يحركهم ويعرف متى يتقدمون ومتى يتأخرون، وما من نظرية ادارية إلا وهي قائمة على رؤية أصحاب هذه النظرية إلى الانسان٠

ويعتبر الإمام علي (عليه السلام)، العقل مصدر كل الفضائل، فيقول (العقل فضيلة الإنسان) والعلم مصباح العقل وينبوع الفضل) ولما كان العقل هو أصل العلم كما ورد في كلام الإمام، فهو ينبوع الفضل أيضاً، أما لأدب فهو أحد الفضائل المهمة في الإنسان وأساسه العقل فيقول (الأدب في الإنسان كشجرة أصلها العقل) والتواضع أحد الفضائل وهو رأس العقل، والسخاء هو ثمرة العقل ٠

وتكر الإمام علي (عليه السلام)، علامات المتقين وعدها ثلاثة هي

أولاً: أخلاص العمل: ومعناه لصدق أثناء العمل.

ثانياً:قصر الأمل: ومعناه ترجمة عمله إلى واقع والى برنامج زمني مرحلي ٠

ثالثاً: اغتنام المهل (المهل) هو التؤدة والسكون وهي حالة في منتهى الفضيلة لا يبلغها إلا من ربى نفسه تربية قاسية بحيث لا ينفعل حين وقوع المشكلة ولايضطرب ولا يقلق عند وقوع حدث ما يستدعي منه التفكير والحل ٠ (غرر الحكم ودرر الكلم، ٦٥، ١٧٣)

٢. الصفة التنظيمية:

يبتئ الفكر الإداري في الإسلام بالتركيز على النظم والنظام فأكبر مصداق للنظم تصدق شؤون الدولة وأمور المجتمع، وتقدم المسلمون لأنهم أكثر تنظيماً من غيرهم انتصروا في الحرب لأنهم أوجدوا نظاماً للقتال، واستطاعوا أن يوجدوا دولتهم لأنهم أقاموها على أساس من التنظيم ونشروا العلم لأنهم وضعوا نظاماً للتعليم، وكل ذلك فضل الحث المتواصل على التنظيم والنظام٠

يقول الإمام علي (عليه السلام) في خطبة يبين فيهافضل القرآن الكريم:

(ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه ألا أن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم) يشير الإمام علي (عليه السلام) في هذا النص إلى عظمة القرآن الكريم، وإنها تتجلى في هذا الأمر بالذات في نظم أمر الناس وإدارة شؤون حياتهم، فالنظم هو أحد أربعة أمور أوجدها القرآن الكريم في الأمة الإسلامية:

- الحديث عن المستقبل.
- الحديث عن الماضي.

- معالجة المشكلات.
- تنظيم شؤون الناس.

هذا هو التنظيم ومقدار أهميته عند الإمام علي(عليه السلام) كما أن النظم الإدارية التي يوجدها الإسلام تنظيمات قوية منيعة تقوم على روح الجماعة وعلى الاستعداد الجمعي للتعاون والتآزر ، ولما كان الهدف من الخلق الحميد هو الحد من طغيان الفردية فإنه السبيل الأقوى دائماً لتأسيس التنظيمات الاجتماعية فالمجتمع التي تنمو فيه الأخلاق هو الأقدر على تنظيم نفسه وتشكيل أعضائه ، وكذلك دور القانون في إرساء النظم الإدارية وترسيخها حيث أن القانون يحفظ على العلاقات التي تجمع أفراد التنظيم ويحافظ على ديمومتها وتقويتها .

ويرى الأمام (عليه السلام) سبل تقوية النظام الإداري عبر وسائل هي:

- العدل: هي بمثابة العصا التي يمسك بها من يريد موازنة جسمه فوق حبل رفيع في العاب السيرك، يلعب العدل دور العصا في تنظيم المجتمع فوق حبل الحياة القاسية فهو السبيل إلى الموازنة.
- الحلم: هدوء الأعصاب عند الانفعال، وعدم الانفعال عند الثارات وهو من قواعد التنظيم.
- روح التعاون بين الأفراد، كالإحسان إلى الآخرين، ومواساة الأخوان والكرم وهي صفة تنم عن روح جماعية.
- الدعوة إلى الطاعة: لابد من وجود محور تجتمع عليه التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية، وهذا المحور هو طاعة الله سبحانه وتعالى فكلما زادت الطاعة أزداد أزداد التنظيم قوة وترابطاً، لأن الطاعة ستركز الالتزام القانوني في التنظيم أو المؤسسة.

٣. الصفة الجماعية:

لا تنشأ الإدارة إلا لهذا الجمع من روابط تربطهم، وكلما قوي هذا الرابط قويت الجماعة وأصبحت الإدارة متيسرة على المدير، فالجماعة هي البيئة التي تنشأ فيها الادارة.

وقد زخر فكر الإمام علي (عليه السلام) بنصوص كثيرة في مجال المجتمع والجماعة ، وهي بحد ذاتها تكون لدينا دراسة متكاملة عن المجتمع ودور الفرد في الجماعة ، فأن حاجة الفرد إلى الجماعة كحاجته إلى الهواء فهو يستطيع الاستمرار في الحياة بدون الجماعة ، لأن تعقيدات الحياة تحتم عليه أن يعاشر الأفراد ويرتبط بهم برابط الأخوة ، يقول الإمام علي (عليه السلام) :(عاشر أهل الفضل تسعد وتنبل) فلا سعادة للإنسان إلا عندما يكون في دائرة المجتمع ، لذا أمر الإسلام أبناءه بحسن العشرة. لأن بحسن العشرة تدوم المودة وتأس الرفاق وتدوم الصلة ، كما أن المجتمع الذي يطمح إليه الإمام علي (عليه السلام) هو:

١. المجتمع المتزن: الذي يقوم على دعامة العدل .

٢. المجتمع النشط: الذي يعمل بدافع المسؤولية.

٣. المجتمع المفتوح: الذي يستقبل في كل يوم جمعاً جديداً من المؤمنين.

٤. المجتمع المقنن: الذي يستند إلى قانون الشريعة الإسلامية.

٥. المجتمع الذي يضمن أفراده ويمنحهم الفرص والادوار.

٦. المجتمع المتطور الذي لا يعرف التوقف في الحياة.

وهذه هي الفصال الضرورية للتنظيم، فأي تنظيم إداري ينشأ في وسط هذا المجتمع سينمو سريعاً ويترسخ بقوة لأنه سيقام على أعمده اجتماعية متينة.

٤. الصفة الهدفية

الحياة لم تخلق عبثاً، فهي لم تخلق بالصدفة، كما يذهب البعض ولا خلقتها الطبيعة العمياء، بل خلقها خلق قدير متعال عالم قادر حكيم عادل، فمن الخطأ أن يعتقد المرء بأن لهذا الوجود خلق ثم يقول اللاهدفية.

يقول الإمام علي (عليه السلام)، مخاطباً الإنسان: ((أنك لم تخلق للدنيا فأزهد فيها وأعرض عنها))، وهذا لا يعني أن يترك الإنسان الدنيا وشأنها بل معنى ذلك أن الدنيا ليست هدفاً فلابد أن يزهد فيها الإنسان فلا يتعلق بها تعلق الحبيب بمحبوبه، بل يأخذ منها ما يكفيه والذي يكفيه هو إشباع حاجاته الضرورية وهي ثلاثة:

أولاً: الحاجات الضرورية لبقائه في الحياة وهي الحاجة إلى الطعام والشراب والسكن.

ثانياً: الحاجات الضرورية لبقاء النوع، وهي الحاجة إلى الزواج وما يتعلق بها.

ثالثاً: الحاجات الاجتماعية كالحاجة إلى الاحترام والتقدير فمن حق الإنسان أن يأخذ من الدنيا ما يشبع هذه الحاجات، لكن لا يزيد عن ذلك، يقول الإمام (عليه السلام): أن الدنيا دار منها لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضرة قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا فيها الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ.

٥. معايير اختيار القيادات السياسية والإدارية في فكر الأمام علي (عليه السلام):

أن نظام الدولة الإداري في الحقبة الإسلامية، كما كان يجمع بين النظامين المركزي واللامركزي، أي أن الخليفة (الحاكم الأعلى) هو من يختار أمراء الجند والولاة (حكام) الأقاليم التابعة بصورة مباشرة في حين أن هؤلاء الولاة يختارون القيادات الإدارية للولاية من قضاة وجنود والمسؤولين عن الأموال العامة وعمال (حكام) المقاطعات التابعة للولاية والمستشارين وغيرهم.

ولتحقيق العدالة الاجتماعية وإصلاح المجتمع وضع الأمام شروط ومقايس لهذه القيادات كلها، ومع أن هذه الشروط متقاربة فيما بينها، فأنها قائمة على أُس دقيقة منسجمة مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ... وهي أن القيادات الإدارية ينبغي أن تناط بالأشخاص الصالحين، ولكن هذا لا يتم إلّا إذا كان الحاكم الأعلى صالحاً أولاً، لقد حدد الإمام شروطاً تنطبق على القيادات كلها، من إمام المسلمين إلى أصغر مسؤول فيها بستخصال، وهي أن يكون:

بخيلاً، أو جاهلاً، أو ظالماً، أو مرتشياً، أو معطلاً للسنة بقوله: (أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم، والأحكام وإمامة المسلمين، البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق.. ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة) فقد وضع الأمام منهجاً كاملاً لاختيار القيادات في الولاية من قضاة وعمال ومستشارين وغيرهم، ويوضح ذلك في كتابه للاشتر النخعي عندما ولاه مصر، وهو من أشهر الكتب في هذا المجال، فقد أوضح الإمام طريقة عامة لعملية اختيار هذه القيادات، هي:

أولاً: الابتعاد عن المحاباة والمداراة والاعتماد على الكفاءة والأمانة، بقوله:

(ثم أنظر في أمور عمالك فأستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع في شعب الجور والخيانة) أي ولهم ألأعمال بالامتحان لا محاباة أي اختصاصا وميلاً منك لمعاونتهم وأثرة أي استبداد بلا مشورة.

ثانياً: أن لا يكون الاختيار على وفق الميول الخاصة والثقة العمياء وحسن الظن (ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستقامتك وحسن الظن منك، فأن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم، وحسن خدمتهم) (١) ٠

بعد أن يتم اختيار الوالي، يضع له الإمام مواصفات تفصيلية خاصة لكل قيادة من القيادات السياسية والإدارية، أن هذه المواصفات التي وضعها الإمام ليت أفكاراً مجردة نظرية بل نابعة من تراكم الخبرة العملية من أن كان والياً على اليمن إلى أن أصبح أماماً للمسلمين. (نهج البلاغة،محمد عبده، ٥٨٣).

أما عن تأثير القائد في استقامة الرعية فالامام علي (عليه السلام). رأي في ذلك يتلخص بـ:

مما لاشك في أن الوصول إلى استقامة الرعية ، هو من الأمور المعقدة الصعبة المنال ، غير أن القائد يمكنه العمل في الكثير من هذا المجال ، فالقيادة التي يمثلها القائد تعني التأثير في الآخرين سلباً أو إيجابا ، والتأثير لا يتم من غير قوة أو نفوذ ، والحكام يفترض أن تكون لديهم هذه القوه والنفوذ بحكم المراكز التي يمثلونها وبحكم طبيعة شخصياتهم للتأثير في الرعية للوصول إلى الاستقامة ، وهذا يتم من خلال عدة قضايا يؤكد عليها الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، نذكر منها القدوة الحسنة ، إذ يعد الحاكم المثل الأعلى للرعية والقدوة التي يفترض أن يقتدى بها من خلال تصرفاته وسلوكه وأمانته وعدالته ومدى التزامه بأوامر الدين الحنيف ، ومدى تطابق أفعاله مع أقواله .

لقد جسد الإمام علي (عليه السلام) أروع الأمثلة على هذه القدوة الحسنة بين ما يؤمن به وبين ما يطبقه في الواقع الملموس لذلك يقول: (أيها الناس، لأنيوالله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية وإلا أتناهى قبلكم عنها)، وبمعنى آخر، أن الرعية لا يمكن إصلاحها بوجود حاكم فاسد، وقد جسد هذا أبو العتاهية بقوله :

أتصلح الناس وأنت فاسد هيهات ما أبعد ما تكابد

أن الدمج بين ما يفعله الحاكم لأجل نفسه مع ما يفعله لأجل الرعية تشكل خاصة مميزة للتربية الأخلاقية، وهو من آليات تأثير الحاكم في الرعية ٠ ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) أن الحاكم أو القائد ينبغي أن يشارك رعيته في الشدائد، وأن يتساوى معهم في خشونة العيش: أأقنع من نفسي بأن يقال: (هذا الإمام علي) ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في خشونة العيش. (المصدر السابق، ٣٥٤)

أما عن السياسة العامة للحاكم الفاضل فيؤكد الإمام علي (عليه السلام):

لقد رسم الإمام الخطوط الرئيسية للسياسة التي ينبغي للحاكم أن ينتهجها لإقامة العدل والحق ، ومن ثم إصلاح المجتمع تضمن هذه السياسة ، زيادة على عملية اختيار القيادات التنفيذية ، قواعد وضوابط لتعليم هذه القيادات فن السياسة المعقد المستند إلى تعاليم العقيدة الإسلامية السمحاء ، محدداً بذلك العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، ومن أوائل أعمال الوالي هي تقوىالله وطاعته وإتباع أوامره ، جاء ذلك في بداية كتابه للأشتر النخعي : (أمره بتقوىالله ، وإيثار طاعته ، وأتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه ، التي لا يسعد أحد إلا بإتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصرالله سبحانه بقلبه ويده ولسانه)

(نهج البلاغة ، ٢٣٠)ثم يأتي العمل في الحق والعدل) (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك) وعن واجبات إمام المسلمين، حددها الإمام علي (عليه السلام) بقوله: (انه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنة وإقامة الحدود على مستحقيها وإصدار السهمان على أهلها).

(المصدر السابق، ٥٧٤).

توجهات الإمام علي (عليه السلام) في الإصلاح الإداري

إصلاحات الأمام على (عليه السلام) السياسية الإدارية:

أستلم الأمام علي (عليه السلام) الخلافة بعد مقتل عثمان بسبعة أيام تلك في (٢٥)ذي الحجة عام (٣٥ هـ.) فوجد الأوضاع متردية بشكل عام، وعلى أثر ذلك وضع خطة إصلاحية شاملة ركز فيها على شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم:

الأول: تطهير جهاز الدولة:

أول عمل قام به (عليه السلام)، فور توليته لمنصب رئاسة الدولة هو عزل ولاة عثمان الذين سخروا جهاز الحكم لمصلحهم الخاصة وأثروا ثراء فاحشاً مما اختلسوه من بيت المال.

الثاني: تأميم الأموال المختلسة:

أصدر الأمام (عليه السلام) قراره الحاسم بـ.تأميم الأموال المختلسة التي نهبها الحكم الحكم المباد، فبادرت السلطة التنفيذية بوضع اليد على القطائع التي أقطعها عثمان

لذوي قرباه، والأموال التي أستأثر بها عثمان، وقد صودرت أمواله حتى سيفه ودرعه، وأضافها الأمام (عليه السلام) إلى بيت المال.

ثالثاً: سياسة الأمام (عليه السلام):

فيما يلي عرضاً موجزاً للسياسة الإصلاحية التي أتبعها الأمام (عليه السلام) لإدارة الدولة الإسلامية وهي كما يلي:

•أولا: السياسة المالية:

كانت لسياسة المالية التي أنتهجها الإمام علي (عليه السلام) امتدادا لسياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي عني بتطوير الحياة الاقتصادية، وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد، بحيث لا يبقى فقيراً أو بئس أو محتاج ، وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعاً عادلاً على الجميع ، ومن مظاهر هذه السياسة هي :

المساواة في التوزيع والعطاء، فليس لأحد فضل أو امتياز وإنما الجميع على حد سواء، فلا فضل للمهاجرين على الأنصار ولا العربي على غيره.

وقد أثارت هذه العدالة غضب الرأسماليين من القريشيين وغيرهم فأعلنوا سخطهم على الإمام (عليه السلام) ويطالبونه بالعدول عن سياسته ، فأجابهم الإمام (عليه السلام):

(لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف، وإنما المال مال الله ألا وإن إعطاء المال في في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويهينه عند الله)، فكان الإمام (عليه السلام) يهدف في سياسته

المالية إلى إيجاد مجتمع لا تطغى فيه الرأسمالية، ولا تحدث فيه الأزمات الاقتصادية، الاقتصادية، ولا يواجه المجتمع أي حرمان أو ضيق في حياته المعيشية.

الأنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية، وإنشاء المشاريع الزراعية والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي التي كان من أصول الاقتصاد العام في تلك العصور.

فقد أكد (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر على رعاية إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها، فيقول (عليه السلام):

(وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً).

وعلى أي حال فأن السياسة الاقتصادية التي تبناها الأمام (عليه السلام) قد ثقلت على القوى المنحرفة عن الإسلام، فانصرفوا عن الإمام وأهل بيته (عليهم السلام)، والتحقوا بالمعسكر الأموي التي يضمن لهم الاستغلال والنهب وسلب قوت الشعب والتلاعب باقتصاد البلاد.

عنى الأمام (عليهم السلام) بإزالة جميع أسباب التخلف والانحطاط، وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الإنسان جميع متطلبات حياته من الأمن والرخاء والاستقراء، ونشير فيما يلي إلى بعض مظاهرها:

- أ. المساواة في الحقوق والواجبات.
- ب. المساواة في العطاء.
- ت . المساواة أمام القانون.

وقد ألزم الإمام (عليهم السلام) عماله وولاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم فيقول (عليهم السلام) في بعض رسائله إلى عماله:

(وأخفض للرعية جناحك، وأبسط لهم وجهك، ولن لهم جنابك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك).

ثانياً: الحرية:

أما الحرية عند الإمام (عليه السلام) فهي من الحقوق الذاتية لكل إنسان، ويجب أن تتوفر للجميع شريطة أن لا تستغل في الاعتداء والأضرار بالناس وكان من أبرز معالمها الحرية السياسية، ونعني بها أن تتاح للناس الحرية التامة في اعتناق أي مذهب سياسي دون أن تفرض عليهم السلطة رأياً معاكساً لما يذهبون إليه، فكان الإمام علي (عليه السلام) يرى الناس أحرار، ويجب على الدولة أن توفر لهم حريتهم مادام لم يخلوا بالأمن، ولم يعلنوا التمرد والخروج على الحكم القائم.

ثالثاً: الدعوة إلى وحدة الأمة

اعتبر الإمام علي (عليه السلام) الألفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة، فيقول (عليه السلام):

(أن الله سبحانه وتعالى قد أمتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل الألفة التي ينتقلون في ظلها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لأنها أرجح من كل ثمن، وأجل من كل خطر).

رابعاً: تربية الأمة

لم يعهد على أحد من الخلفاء أنه عنى بالناحية التربوية أو بشؤون التعليم كالإمام (عليه السلام) وإنما عنوا بالشؤون العسكرية وعمليات الحروب، وتوسيع رقعة الدولة وبسط نفوذها على أنحاء العالم، إما الأمام (عليه السلام) فقد كان المؤسس الأعلى للعلوم والمعارف في دنيا الإسلام، وقد بذل

جميع جهده على إشاعة العلم ونشر الآداب والثقافة بين المسلمين، وكان دوماً يذيع بين أصحابه، قوله (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فأنا أبصر بها من طرق الأرض).

<u>الاستنتاجات:</u>

١- أن هنالك حاجة ماسة جداً لفكر الإمام علي (عليه السلام) في أدارة الحياة بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لأن فكر الأمام (عليه السلام) قد قام على أسس رصينة وقوية تتسم بحبه للخير والعمل به والمساواة بين الرعية والتسامح ، فهو ينظر إلى الرعية على أنهم أما نظير له في الخلق أو نظير له في الدين ، هذا هو الإمام علي (عليه السلام) روحي له الفداء لا تحصيه كلمات ولا أسطر ولا بحوث ولا كتب لأنه كان أكثر الناس معرفة وكان أعلم الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولنعم ما قال فيه الصفي الحلي :

جمعت في صفاتك الأضداد فلهذا أعزت لك الأنداد

زاهد حـ . . . . .اكم حليم شجاع فأنك نلت فقير جـ ..واد

شيم ما جمعن فـ . . ..ي شرقط ولا جاز مثلهن العـ بـ ..اد

خلق يخجل الشيم من الطف وبأس يذوب منه الجماد

٢–هنالك حاجة للأخذ بتوجهات الإصلاح الإداري للأمام علي (عليه السلام) في نهج دولة العراق بالوقت الحاضر ومنها:

أ. تطهير جهاز الدولة من الفاسدين والمفسدين وعزل من أثروا ثراء فاحشاً على حساب الشعب العراقي والدولة العراقية.

ب. إنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء العراق وأتباع سياسة مالية رشيدة وتوزيع الفائض من عائدات النفط وثروات البلد توزيعاً عادلاً على مواطني العراق بحسب البطاقة التموينية.

ج. المساواة في التوزيع والعطاء وانتهاج سياسة العدل وهو مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام ونهج أداري متميز بقيادة رسول الله (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) للدولة الإسلامية وقد أتبعه في تلك آل بيته وجده الإمام علي (عليه السلام) في فترة أدارية للدولة الإسلامية.

وعليه ... فحكام العراق مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى أن يتبعوا نهج آل البيت، ونهج الأمام علي والحسين (عليهما السلام) في إتباع العدل بين الناس والابتعاد عن مسلك التزوير والرشوة في تصريف أمور العباد.

د. الاهتمام بمختلف الموارد الاقتصادية في العراق فكما أهتم الأمام علي (عليه السلام) بإصلاح الأرض وأعطاها الأهمية القصوى في توصيفه لمالك الأشتر ففي أصلاح الأرض أصلاح للاقتصاد. وهكذا أكمل منابع فكر وممارسات الأمام علي (عليه السلام) في الإدارة.

المصادر

١. إبراهيم الخلوف، ابراهيم. (٢٠٠٧). إدارة المعارف والمفاهيم، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٢. ابن حجر العسقلاني. (١٩٨٦). الإصابة في تميز الصحابة – دار الكتب العلمية –ج١–، بيروت، لبنان.

٣. أبي السعد علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي. (ب. ت). الأحكام السلطانية والولايات الدينية جمع بين المسائل الشرعية والسياسية – المطبعة المحمودية التجارية، القاهرة،مصر.

٤. أبي علي احمد الرازي ابن مسكوية. (ب ت). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف –ط٢ – مكتبة الحياة – بيروت، لبنان.

٥. احمد بن علي الحسيني ابن عجة. (١٩٦١). عمدة الطالب في انساب أل أبي طالب،تصحيح حسن تصحيح حسن الطالقاني ط٢، المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، العراق.

٦. الآمدي –غرر الحكم ودور الكلم، (ب.ت).

٧. خضير كاظم حمود. (ب ت). السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بين الأصالة والمعاصرة، جامعة ويلز، الملكة المتحدة، مطبعة الباقر، بيروت، لبنان.

٨. الخطيب، عامر. (١٩٩٥). فلسفه التربية،قضايا، أعلام، فكر عزه.

٩. عباس القمي. (٢٠٠٤). منتهى الآمال في تواريخ النبي، الطبعة الأولى، مكتبة فدك

١٠. عبد الهادي الفضلي. (ب ت). دور الأمام علي (عليه السلام) في إرساء الحضارة الإسلامية

١١. عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبةالله. (ب ت). شرح نهج البلاغة، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة،مصر.

١٢. علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي. (١٩٨٥). كشف الغمة في معرفة الأئمة – دار الأضواء – بيروت، لبنان.

١٣. محمدأبو الفضل إبراهيم. (١٩٩٦). نهج البلاغة، تحقيق وشرح لما جمعه الشريف الرضي من كلام الإمام علي (عليه السلام)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

١٤. محمداليعقوبي (١٤٢٦هـ). دور الأئمة في الحياة السياسية، ج ١ ط ١، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

١٥. محمدباقر بنمحمدتقي. (١١١١هـ). بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء بيروت، لبنان.

١٦. محمدعبده. (١٩٩٣). نهج البلاغة، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي.

١٧. محمد عمارة وآخرون. (١٩٨٠). علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

١٨. مشير الدين أبي عبدالله محمدبن علي شهر أشوب. (١٩٥٦). منقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من تحقيق لجنة من النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف، العراق.

١٩. مطاوع، إبراهيم عصمت وأمينة، احمد حسن. (١٩٨٤). الأصول الإدارية للتربية.

٢٠. نور الله الحسيني المرعشي. (١٣٧٧هـ). إحقاق الحق وإزهاق البطل – المطبعة الإسلامية – طهران، إيران.

٢١. الهماشي، حسين رحيم عزيز وكفاح محسن لطائي (٢٠١٣). أساسيات الفكر التربوي، دار كتب والوثائق، بغداد، العراق.